وقسم معتدل بينهما ، يأمر بالمحافظة على القديم النافع وترك الضار منه بالتدريج ، واضافة ما لا بد منه من الجديد بشرط حفظ مقومات الامة ومشخصاتها والحذر من فتنها في غيرها ، فكونوا من المعتدلين الجامعين فأنتم في قومكم أعرف من غيركم بالحاجة الى هذا الجمع ، وخطر الخلاف والتفرق ، وأمامكم الامة الانكليزية في سيرتها وأخلاقها عبرة لكم لاتضاهيها عبرة ، انها لا تترك شيئاً من عاداتها ولا تقاليدها ولو الى أحسن منه الا اذا اضطرت اليه فانها تأتيه بالتدريج والا أصرت عليه كما تصر على مقاييسها ومكاييلها ولا تتركها الى المقاييس والمكاييل التي هي خير منها ، والعاقل من اعتبر بغيره والله الموفق واياه أسأل أن يتم النفع بكم لامتكم انه سميع مجيب

بشائر عيسى ومحمد (*)

﴿ في العهدين العتيق والجديد ﴾

٥

(١) ما يدرينا أنه وبخهم ولم يصل إلينا ذلك مع العلم بأن نفس كتاب الاناجيل اعترفوا بأنهم لم يكتبوا كل ما قاله المسيح أو ما فعله فقال يوحنا انه لم يكتب كل ما فعله المسيح وأن أعماله كثيرة جدا لا يسعها العالم فلا بد أن كثيرا من أقواله التي قالها حين فعل هذه الاعمال لم تكتب أيضا (يو ٢١ : ٢٥)

على أن المسيح صدق ما فيها من الشرائع والنبوات فقط كما في انجيل متى ٥ : ١٧ و ١٨ ولم يتعرض للتاريخ الذي فيها بشيء كهذا الذي في انجيل متى فان كثيرا من هذا التاريخ غير صحيح وبعضه خرافي لا يمكن أن يقره المسيح كقصة شمشون ودليلة (قض ١٦ : ٤ - ٢٢) ووقوف الشمس ليشوع (يش ١٠ : ١٣) وغير ذلك كثير

(٢) لماذا لم يوبخ المسيح اليهود على الكتب الابوكريفية (الكاذبة) التي كانت في الترجمة السبعينية وقتئذ وكانت مسلمة عند اليهود والنصارى كما هي مسلمة عند الكاثوليك والأورثوذكس إلى اليوم ؟ فان قيل إنهم ربما لم يكونوا

(*) تابع لما نشر في الجزء السابع ص ٤٩٤ بقلم الدكتور محمد توفيق صدقي

يعتقدون أنها ملهمة من الله في ذلك الوقت . قلت وربما إنهم أيضا لم يعتقدوا صحة نسبة هذه الكتب الى موسى عليه السلام واذا كانوا يسمونها (كتب موسى) فذلك لان أهم ما فيها هو تاريخه وتاريخ أمته عليه السلام كما يسمى تاريخ المسيح وتعاليمه إنجيله (غل ١ : ٧) مع أنه لم يكتبه بنفسه فيجوز أنهم ما كانوا يعتقدون أنها إلهامية ويجوز أنهم ما كانوا يضمونها إلى سفر التثنية في مجلد واحد وقد يكون هذا الضم وهذا الاعتقاد في إلهامها وصحتها إنما نشأ بعد المسيح عليه السلام في أواخر القرن الاول فبدأوا حينئذ يعتقدون أن موسى هو كاتبها لا غيره ثم تبعهم النصارى في ذلك وجاروهم ليستميلوهم لدينهم ولأنهم كانوا منهم

(٣) لماذا لم يبين المسيح للمرأة السامرية التي سألته عن اختلاف اليهود والسامريين في جبلي عيبال وجرزيم - لم يبين لها بيانا صريحا الحق من المبطل ولم لم يذم المحرف منهما ويشهر به (يو ٤ : ٢١) ؟ ؟ (١)

« ١ » حاشية : مما قاله عيسى عليه السلام لهذه المرأة السامرية كما في انجيل يوحنا ٤ : ٢١ « يا امرأة صدقيني انه تأتي ساعة لا في هذا الجبل ولا في أورشليم تسجدون للاب » وهذه العبارة تتضمن الاشارة الى الديانة الاسلامية التي تجيز السجود لله في كل مكان والقبلة فيها الى مكة لا الى أورشليم ولا الى غيرها . واليهود والسامريون الذين أسلموا صاروا يعبدون الله متجهين الى الكعبة . وهذه القصة السامرية تدلنا على السبب الحقيقي الذي جعل عيسى لا يبالي بالتصريح ببيان المكان الذي ينبغي أن يسجد فيه لانه علم أن الشريعة الموسوية في هذه المسألة زائلة والشريعة الباقية التي ستأتي يسجد بحسبها الناس في كل مكان والي غير أورشليم ولغير جبل السامريين . وهذا السبب بعينه هو الذي حمل عيسى على عدم بيان الكتب الابوكريفية وغيرها التي يتخبط في شأنها النصارى الى الآن لانه علم أن جميع هذه الكتب ستستبدل بكتابه (الفارقليط) الذي قال فيه يو ١٦ : ١٢ و ١٣ « ان لي امورا كثيرة أيضا لاقول لكم ولكن لا تستطيعون أن تحتملوا الان . وأما متى جاء ذاك روح الحق فهو يرشدكم الى جميع الحق لانه لا يتكلم من نفسه بل كل ما يسمع يتكلم به ويخبركم بأمور آتية » ولا يصح حمل هذه العبارة على « روح القدس » كما تدعي النصارى لانه هو عين الله تعالى كما يزعمون ولا معنى حينئذ لقول المسيح « لانه لا يتكلم من نفسه بل كل ما يسمع يتكلم به » ولم يأتهم روح القدس بشيء لم يكن في زمن عيسى أو كان حمله شاقا عليهم فمحمد صلى الله عليه وسلم هو الذي كان يتكلم بما يسمع من وحي الله اليه « وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى » وهو الذي بين للناس الحق من الباطل في أمر هذه الكتب وقال قرآنه « فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا فويل لهم مما كتبت ايديهم وويل لهم مما يكسبون » وقال « يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفو عن كثير قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين » وشرع للناس شرائع كثيرة فكان عيسى عليه السلام لما علم

(٤) إن المسيح عليه السلام وبخهم على ابطال شريعة موسى بتقاليدهم وأنبأهم

أن هذه الكتب سيحل محلها القرآن الذي قرب مجيئه وجاء هو مبشرا به وأنها ليست باقية الى الابد بل سيستغنى عنها قريبا بالقرآن الذي سيبين أمرها ويهتم كثيرا بتبيين صحيحها من فاسدها بل أفرغ جهده كله في تبيين حقيقة الدين وروحه وجوهره وفي أن الله لا ينظر الى الصور والظواهر بل الى القلوب والنفوس وبالغ في ايضاح هذه المسائل حتى يرد اليهود عن غلوهم في اعتبار ظواهر الدين وقشوره (أو طقوسه ورسومه كما يعبرون) ليعد النفوس لقبول الشريعة الاسلامية المتوسطة بين الافراط والتفريط والتي جمعت بين مطالب الروح والجسد وبين الظواهر والبواطن كما قال تعالى (وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس) وقد ترك عيسى عليه السلام بيان ما حل بهذه الكتب من الفساد لعلمه أنها كادت تنتهي وظيفتها وأنها زائلة قريباً وأن العبرة بجوهر الدين لا بقشوره كما ترك الافصاح عن الموضع الذي ينبغي أن يسجد فيه واختلف فيه اليهود والسامريون لكونه يعلم ان الشريعة الآتية الباقية ستعين موضعا آخر غير موضع اليهود والسامريين وان أمثال هذه الاختلافات الجزئية ستزول بطبيعة الحال ويكفي ان يأخذ اتباعه بلب الدين وجوهره ولا يضيعوا اوقاتهم في الخلاف في جزئياته وقشوره حتى تنطبع نفوسهم على الأخذ بالروح والحقيقة لا بالظواهر التي كانوا قد اهملوا كل شيء في سبيل العمل بها ومتى استعدت النفوس لقبول الحق وايفاء الروح والجسد مطالبهما من غير افراط ولا تفريط جاء محمد عليه السلام بالشريعة الوسطى وارشد الخلق لجميع الحق كما بشرهم عيسى عليه السلام من قبل فتختم به حينئذ النبوة (دا ٩ : ٢٤) ويحفظ الله دينه الى الابد (دا ٢ : ٤٤)

ولو كان عيسى عليه السلام يعلم ان كتب اليهود ستبقى الى الابد لما ترك الناس حيارى في شانها ولوجب عليه تبيين صحيحها من فاسدها حتى لا يبقى أتباعه في أمرها الى الآن ضالين فيرفض بعضهم ما يأخذ به الآخرون ويعتقدون اليوم بكتاب منها أو بأصحاح فيظهر لهم غدا أنهم كانو مخطئين فهم يتلمسون الحقيقة ولا يجدونها الا بالاخذ بالاسلام وحينئذ يستريحون من عنائهم في هذه الكتب المجهول أصلها هداهم الله الى سواء السبيل

هذا ولما كان مجيء الساعة التي يسجد فيها الناس لغير قبلة أورشليم وقبلة جبل السامريين محققا وأمرا مقضيا من الله ولا بد من وقوعه قال المسيح يو ٤ : ٢٣ (ولكن تأتي ساعة وهي الآن حين الساجدون الحقيقيون يسجدون للآب) فكأن الساعة موجودة بالفعل وقت الكلام لتحقق اتيانها ولذلك قال (وهي الآن) وهذا يشبه قوله تعالى (أتى أمر الله فلا تستعجلوه) وورد أيضا في كتاب حزقيال مثل هذا فقال ٣٩ : ١ - ٨ (وانت يا ابن آدم تنبأ على جوج وقل هكذا قال السيد الرب — الى قوله — ها هو قد أتى وصار يقول السيد الرب هذا هو اليوم الذي تكلمت عنه) مع ان هذا اليوم لم يكن وقتئذ أتى ولا صار فيه شيء مما أنبأ به وانما قال ذلك لتحقق حصوله فكذلك قول المسيح عليه السلام السابق وقد قال مثل ذلك أيضا في يوم القيامة كما في انجيل يوحنا ٥ : ٢٥ و ٢٨ فورد فيه ما يأتي (الحق الحق أقول لكم انه تأتي ساعة وهي الآن حين يسمع الاموات صوت ابن الله والسامعون يحيون) الى قوله فانه تأتي ساعة فيها يسمع جميع الذين في القبور صوته فقوله وهي الآن لتحقق اتيانها ولقربه بالنسبة لما مضى من الازمان وكذلك قوله مت ٢٦ : ٦٤ (وأيضا أقول لكم من الآن تبصرون ابن الانسان جالسا على يمين القوة وآتيا على سحاب السماء) مع أنه الى زمننا هذا لم يأت المسيح على سحاب السماء

يعلمون تعاليم ليست من الله بل من الناس وأنهم يفعلون أمورا كثيرة مثل هذه (مرقس ٧ : ٦-١٣) فما المانع من أنه يريد بقوله (أمورا كثيرة مثل هذه) وقوله (تعاليم هي وصايا الناس) أنهم يكتبون أشياء وينسبونها إلى موسى عليه السلام مدعين أنها من الله وهي ليست منه بل هي من اختراعاتهم وقد سبق أننا قلنا أن ماعدا سفر التثنية من أسفار موسى الاخرى لم يكتبه هو بل تعتبر من التقاليد (الاحاديث) المروية بالرواية الشفوية ثم كتبت بعد فلعل ذلك هو المراد بقول المسيح (مر ٧ : ١٣) (وأمورا كثيرة مثل هذه تفعلون) على أن المسيح عليه السلام لم ينبههم الى ماوقع في نفس سفر الشريعة (التثنية) من الخطأ العلمي الصريح كالقول باجترار الارنب المبلي (تث ١٤ : ٧) لما ذكرناه هنا في الحاشية من ان هذه الشرائع كانت موقتة وانها زائلة بالاسلام (١) وأن محمدا سيبين لهم كل شيء كما قال عيسى عليه السلام (يو ١٦ : ١٢ و ١٣) لعدم استعدادهم في زمن المسيح لقبول ذلك

هذا وقد اعترف بطرس في رسالته الثانية بأن الناس كانوا يحرفون الرسائل والكتب فقال ٣ : ١٦ (كما في الرسائل كلها أيضا متكلما فيها عن هذه الامور التي فيها أشياء عسرة الفهم يحرفها غير العلماء وغير الثابتين كباقي الكتب ايضا لهلاك أنفسهم) والتحريف هنا يشمل المعنوي واللفظي أيضا وتخصيصه بالمعنوي لا دليل عليه فاذا كانوا يحرفون الأشياء العسرة الفهم في كتبهم في زمن الرسل أنفسهم كما يدل عليه هذا القول فما بالك بغير زمنهم بعد ان ماتوا وذهبوا ؟ وقال بولس ايضا غل ١ : ٧ (انه يوجد قوم يزعجونكم ويريدون ان يحولوا « يحرفوا » انجيل المسيح) وهو يدل على ان رغبة الناس في تحريف الانجيل كانت قديمة منذ نشوء المسيحية ولا ندري اي انجيل من الاناجيل الكثيرة كان محبوبا عند بولس ويسميه (انجيل المسيح) ولعله كان احد الاناجيل التي رفضوها وسموها بالاناجيل الكاذبة

---

(١) حاشية : جاء الاسم بالاسلام لله في أقدم كتبهم فقال في سفر أيوب (ويظن انه كان قبل ابراهيم) ٢٢ : ٢١ (تعرف به وأسلم) وفي العبري وشلام أي كن مسلما وهذا مصدق لقوله تعالى (ووصى بها ابراهيم بنيه ويعقوب يا بني إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن الا وأنتم مسلمون)

وجملة القول في هذه المسألة أن المسلم لا يمكنه أن يثق بشيء مما يسمونه الآن التوراة والانجيل اللهم الا جل الشريعة الموسوية كما في سفر التثنية وبعض أقوال المسيح ومواعظه كالتي في الاصحاح ٥ و ٦ و ٧ من انجيل متى فاننا نرجح أنها صحيحة غير محرفة والقرآن الذي ثبتت صحته بالبراهين القاطعة هو الميزان الذي نوزن به هذه الكتب فما صدقه منها كان حقا وما كذبه كان باطلا ﴿ وانزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا (١) عليه فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن ليبلوكم فيما آتاكم فاستبقوا الخيرات الى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون ﴾

﴿ تذييل لهذا الفصل الثالث ﴾

وفيه مسألتان

(المسألة الاولى : في كلمات الله . وفي تسمية المسيح بالكلمة)

يزعم بعض النصارى أن كتبهم المقدسة لا يمكن تحريفها ولا تبديلها لقوله تعالى (أفغير الله أبتغي حكما وهو الذي أنزل إليكم الكتاب مفصلا والذين آتيناهم الكتاب يعلمون أنه منزل من ربك بالحق فلا تكونن من الممترين * وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته وهو السميع العليم)

(١) حاشية : المهيمن هو الرقيب والشاهد . فالقرآن المنزل من عند الله الرقيب على كل شيء يشهد على هذه الكتب بما فيها من الحق والباطل وبما يدخلها من الفساد فيقرر ذلك لنا ويعترف به اعتراف الشاهد الذي رأى وعلم بما يقرره فهو عليها رقيب شهيد . يحق حقها ويبطل باطلها . وكذلك الامة الاسلامية تشهد وستشهد على من سبقها من الامم الاخرى في الدنيا والآخرة بما أخبرنا الله تعالى من أحوالهم مع أنبيائهم . فالمسلمون وكتابهم رقباء شهداء على غيرهم وعلى كتبهم بما أعلمهم الله تعالى كالشهيد الذي يرى فيقرر ويعترف بما يوقن به . ولذلك قال تعالى (لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا) فالشهادة هي الاقرار والاعتراف بما يرى أو يعلم باليقين كأنه مشاهد ومن ذلك قول المسلم (أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله)

أما كون كتب النصارى واليهود محرفة فهذا لا شك فيه كما سبق بيانه وأما كون التوراة والانجيل منزلين من عند الله لهداية الناس فهذا أيضا لا شك فيه وأما زعم أن القرآن لم يقل بتحريفهما اعتمادا على مثل الآيتين السابقتين فهو قول باطل لأن القرآن نص على تحريفهما في عدة آيات : منها قوله تعالى (أفتطمعون أن يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون) وقوله (فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون) وقوله (يحرفون الكلم من بعد مواضعه) وقوله (يحرفون الكلم عن مواضعه ونسوا حظا مما ذكروا به ولا تزال تطلع على خائنة منهم) وقوله (قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب) وغير ذلك كثير وهو دال على وقوع التحريف والتبديل في هذه الكتب والزيادة عليها والنقص منها وقد أثبتنا ذلك كله في هذا الفصل ولا يزال الانسان يطلع - كما قال تعالى - على خائنة منهم إلى اليوم

أما الآية السابقة التي تمسكوا بها في عدم تبديل كلمات الله فهاك معناها :-

قال تعالى (أفغير الله أبتغي حكما وهو الذي أنزل اليكم الكتاب مفصلا والذين آتيناهم الكتاب يعلمون أنه منزل من ربك بالحق فلا تكونن من الممترين) فهم يعلمون ذلك لكثرة ما في كتبهم من البشائر بمحمد صلى الله عليه وسلم ودينه وأمته ووضوح ذلك فيه بحيث لا يمكن انطباقه على أحد سواه وسيأتي بيان ذلك في فصل البشائر ثم قال تعالى (وتمت كلمة ربك) أي تحقق وعده بمجيء محمد عليه السلام وقد ورد هذا اللفظ « تمت » بهذا المعنى أيضا في قوله تعالى في آخر سورة هود « وتمت كلمة ربك لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين » وقوله بعد ذلك (صدقا وعدلا) أي تحقق هذا الوعد وظهر صدقه وكان ما حدث من مجيء محمد وبشريعته مطابقا لما أخبر به من قبل تماما بلا زيادة ولا نقصان فان معنى (العدل) المساواة كما في قوله تعالى (أو عدل ذلك صياما) أي ما يساويه من الصوم فوعد الله بمحمد تحقق بغاية الدقة والضبط وقد حدث كل ما أخبر به عنه في الكتب السابقة ولم يتخلف منه شيء فان وعد

الله لا يمكن أن يتبدل أو يتغير وليس لاحد أدنى قدرة على إخلاف ما أنبأ به تعالى ومصادمة الحوادث وتغييرها حتى لا توافق وعده فان كل ما قضاه تعالى لا بد أن يكون ولو حالت السموات والأرض والجبال دونه ولذلك قال تعالى (لا مبدل لكلماته) أي لا مغير لقضائه ولا مخلف لوعده فليس المراد بالكلمات هنا نفس الألفاظ والعبارات بل كل ما قضاه الله تعالى وحكم به وقدره فلا يمكن لأحد أن يمنعه من تنفيذه وقد ورد مثل هذا المعنى في قوله تعالى (سيقول المخلفون إذا انطلقتم إلى مغانم لتأخذوها ذرونا نتبعكم ، - يريدون أن يبدلوا كلام الله ، قل لن تتبعونا ، كذلكم قال الله من قبل) فالمخلفون لم يريدوا قط أن يبدلوا نفس ألفاظ قول الله وإنما ارادوا ان يعملوا بخلاف ما أمر به وقضاه فسمى ذلك تبديلا لكلام الله أي تبديلا لأمره وقضائه بأن لا يخرجوا للقتال مع رسول الله (ص)

فكلمات الله تطلق على عدة معان فقد ترد بمعنى كتبه وشرائعه وقد ترد بمعنى قضائه وقدره كما بينا هنا وقد ترد أيضا بمعنى مخلوقاته تعالى لأنها خلقت بكلمة (كن) فكانت فهي توجد بمجرد صدور هذا الأمر منه بلا تباطؤ ولا تأخير. قال تعالى لمريم (كذلك الله يخلق ما يشاء إذا قضى أمرا فانما يقول له كن فيكون) فبكلمته تعالى خلقت السموات والارض كما قال داود في أحد مزاميره (مز ٣٣ : ٦) ومن ذلك تسمية المسيح بكلمة الله فانه خلق بدون أب ليكون آية للعالمين دالة على كمال قدرة الله تعالى على سائر الممكنات ولتنبيه البشر إلى عدم الاغترار بمعلوماتهم وأفكارهم وإظهار أنهم لا يزالون عاجزين عن الاحاطة باسرار نواميس هذا الكون العظيم وسنن الله فيه وأنه تعالى قادر على خرق العادات ونقض ما يتوهمونه ناموسا لا يمكن نقضه لقصر عقولهم ونقص معلوماتهم التي اغتروا بها وظنوا أن الخالق تعالى مقيد بها وخصوصا في ذلك الزمن زمن انتشار الفلسفة اليونانية القائلة مثلا باستحالة الخرق على الاجرام السماوية وغير ذلك من أوهامهم الباطلة التي كانت عقبة في سبيل العقل البشري تحول دون ارتقائه وتوسعه في العلم والعرفان والابداع والاختراع

فما كان الناس يعدونه من المستحيلات خلق الحيوان بدون أب فأظهر الله

تعالى لهم بمسألة المسيح أن الأمر ليس كذلك فامتدت العقول للبحث والتنقيب حتى هدى الله الباحثين في المخلوقات إلى أمثال لذلك كثيرة فشاهدوا في بعض أنواع الحيوانات الصغيرة كفعل النبات مثلا (Aphides) ما يسمونه بالتوالد البكري (Parthenogenesis) وذلك أن الانثى تلد بدون تلقيح الذكر ويتكرر ذلك في عدة أجيال من نوعها وبعد ذلك يحتاج الجيل الاخير للتلقيح ، ومن العلماء المتأخرين من يقول الآن بجواز حصول ذلك في الانسان أيضا وغيره من الحيوانات الراقية قياسا على ما شهدوه من أن ما يحصل في بعض أنواع الحيوانات على سبيل القاعدة قد يحصل مثله على سبيل الشذوذ في غيرها ومن الجنون أن يتخذ مثل هذا الشذوذ في المخلوقات دليلا على ألوهيتها كمن يتخذ المرأة التي لها اكثر من ثديين إلهة ويعبدها لانه لم ير امرأة اخرى مثلها اولم يسمع بذلك وكمن يعبد امرأة احصنت فرجها عن الزنا ولكنها حملت وهي عذراء من زوج لها عنين لم يمسسها بالجماع المعتاد بين صحيحين بل بالاحتكاك الخارجي فقط مع الانزال فظن العابد لها ان ذلك مستحيل مع ان الامر ليس كذلك بل هو واقع مشاهد

فليس المسيح عليه السلام وحده آية دون سائر المخلوقات بل هو فقط من اعجب العجائب وأكبر الآيات (وفي خلقكم وما يبث من دابة آيات لقوم يوقنون) وكما انه سمي (بكلمة الله) كذلك سائر المخلوقات سميت بكلمات الله قال تعالى (ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله ـ إلى قوله ـ ولو أن ما في الارض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله إن الله عزيز حكيم . ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة) الآيات وقال أيضا للدلالة على عظم نعيم الجنة وسعته وبقائه (قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا) فالمراد بكلمات الله في هذه الآيات مخلوقاته تعالى كما يدل على ذلك السياق فيها . وسمي (المخلوق) بالكلمة من باب تسمية الشيء بسببه على سبيل المجاز المرسل كإطلاق اليد على النعمة

في قول القائل عظمت يد فلان عندي) أي نعمته التي سببها اليد فكذلك مخلوقات الله لما كونت بكلمات الله سميت (بالكلمات) فآدم والمسيح وسائر البشر هم كلمات الله وإنما اشتهر المسيح بين المسلمين بالكلمة دون آدم مثلا لايضاح كيفية خلقه لينفي عنه اعتقاد النصارى بألوهيته واعتقاد اليهود بأنه ابن زنا(١) ولانه أحدث من آدم عهدا بالنسبة إلينا ونعلم من اخباره وأحواله ما لا نعلمه عن آدم فهو آية لنا قريبة وله من المعجزات العظيمة ما يجعله أولى بهذا الاسم من سواه فانه فضلا عن كونه خلق بدون أب تكلم في المهد وخلق من الطين طيرا وأحيا الموتى وابرأ الأكمه والأبرص باذن الله فلاجتماع هذه الاشياء كلها فيه كانت تسميته بالكلمة اظهر من تسمية غيره وإن كان الناس كلهم كلمات الله كما تقدم . انظر مثلا خالدا بن الوليد فانه سمي (سيف الله) لشجاعته العظيمة ولاهلاكه اعداء الله فهل اشتهاره بهذا الاسم يدل على ان غيره غير جدير به ؟ وكما ان الله اباد بخالد كثيرا من اعدائه فسمي (سيفه) كذلك المسيح خلقه الله خلقا عجيبا واجرى على يديه معجزات عظيمة وآيات كبيرة وبه ظهرت قدرة الله تعالى للناس فسماه لذلك كلمته مبالغة واكراما له كأنه هو نفس الكلمة التي فعل الله بها هذه الاشياء على يديه كما أن خالدا شبه بالسيف الذي يقطع الله به الاشرار وفي الحقيقة ليس لله كلمة ملفوظة عند إرادة الخلق ولا له سيف محسوس وإنما هي مجازات معهودة في اللغات كلها ولمثل ذلك سمي المسيح أيضا روح الله لانه يحيي النفوس والجماد والموتى

ومن هذه المجازات نشأ غلط النصارى لظنهم أن (الكلمة) شيء موجود ممتاز عن الله امتياز الأشخاص بعضها عن بعض وأن هذه الكلمة هي التي أوجدت جميع المخلوقات فزعموا ان المسيح هو الخالق لكل شيء غلوا منهم وافراطا مع أن الكلمة ليست شيئا ممتازا بل لا وجود لها في الحقيقة إلا إذا أريد بها القدرة وهي إحدى صفات الله تعالى وليس من المعقول أن الصفات تكون أشخاصا

(١) راجع كتابنا (الخلاصة البرهانية على صحة الديانة الاسلامية) المطبوع لاول مرة سنة ١٣١٦ هجرية

(أو أقانيم) ممتازة بعضها عن بعض قائمة بذاتها بل هي صفات لا تقوم إلا بالذات الحية والفرق بينها وبين الذات الالهية في الكنه والماهية كالفرق بين الجوهر والعرض والصفة والموصوف . فكيف إذا يكون الآب (وهو الله) مثل الكلمة والروح ؟ ولماذا لم تجعل الصفات الأخرى لله تعالى (وهي اكثر من ثلاثة) أقانيم أيضا كالعلم والارادة والسمع والبصر وغيرها ؟

وإذا كان الابن خالقا لكل شيء فما وظيفة الأب إذاً ؟ وأي شيء خلقه روح القدس إذا كانت هي المرادة بقول داود ٣٣ : ٦ (بكلمة الرب صنعت السموات وبنسمة فيه كل جنودها) كما يزعمون ؟ فما هي الجنود التي صنعتها الروح إذا صح أن كل شيء بالابن كان وبغيره لم يكن شيء مما كان كما قال يوحنا (١ : ٣) ؟

ومن المجاز أيضا إطلاق كلمة (وحي) على (الموحى) كما في أشعياء (١٣ : ١) وإطلاق كلمة (الخلق) على (المخلوق) والارادة على الشيء المراد كما في قول المسيح لو ٢٢ : ٤٢ (ان شئت أن تجيز عني هذه الكأس . ولكن لتكن لا إرادتي بل إرادتك) أي ليكن الشيء الذي تريده أنت لا ما أريده انا وبمثل تعبيرنا نقل هذا القول مرقس في انجيله (١٤ : ٣٦)

ومن المبالغة المعتادة تسمية الشيء الجميل بالجمال والحسن بالحسن ونحو ذلك كثير . ومن الناس من سمي (رحمة الله) و (نعمته) و (حزبئيل) أي بصر الله و (عزري) أي عون الله . وقد سمي احد انبياء بني اسرائيل (بحزقيال) ومعناه (قوة الله) وهو ابلغ في الدلالة على القدرة على الخلق من تسمية المسيح (بكلمة الله) فان الكلمة تطلق على معان أخرى منها ـ كما قلنا ـ أحكام الله وشريعته ولذلك سميت الوصايا العشر بالكلمات العشر (تث ١٠ : ٤) . فهل يصح أن يقال من أجل ذلك إن (قوة الله) أو قدرته تجسمت حقيقة ونزلت إلى الارض وظهرت للناس كما قال يوحنا في حق المسيح لأنه سمي بكلمة الله (يو ١ : ١٤) ؟ ولماذا اختص حزقيال بهذا الاسم دون سائر الانبياء ؟ وأي فرق بينه وبين تسمية المسيح بالكلمة ؟ الحق ان النصارى أخذت مذهبها

في (الكلمة) من مذهب الرواقيين فيها فان مذهبهما واحد. والرواقيون هم أتباع الفيلسوف (زينون) اليوناني الذي عاش من سنة ٣٤٠ الى ٢٦٠ قبل الميلاد وكان يعلم فلسفته في رواق شهير بأثينا وكان يعتقد أن الكلمة (Logos) هي الشيء العامل في الكون والخالق له والكائن فيه ومن ذلك نشأ مذهب النصارى في القرون الاولى فقالوا إن الكلمة صارت جسدا وحلت بين الناس وكانت موجودة في الازل وهي التي خلقت كل شيء !! وبذلك تقربوا من الرومانيين حتى دخلوا في دينهم أفواجا أفواجا لان الفلسفة اليونانية كانت هي السائدة على عقولهم ومعتقداتهم ولذلك ترى ان المسيحية أدخلت فيها أشياء كثيرة من أفكار اليونانيين والرومانيين حتى أن تعظيم يوم (الاحد) بدل (السبت) مأخوذ منهم كما ستعلم

ويجوز ان المسيح ما كان يسمى بالكلمة في عصره وإنما سمي بذلك فيما بعد في انجيل يوحنا اخذا عن الفلسفة اليونانية ولما جاء القرآن اخذ هذا الاسم من النصارى وأراهم كيف يمكن تحويل المراد منه عندهم الى معنى صحيح غير مايفهمونه يناسب عقيدة القرآن في المسيح عليه السلام من أنه عبدالله ورسوله المخلوق بكلمة الله وقدرته فيكون ذلك من ضمن اسباب تسميته على انفراد بالكلمة في القرآن

هذا واعلم ان امتياز المسيح أو غيره ببعض الاشياء أو اختصاصه بها لا يدل على أنه أفضل من جميع الأنبياء كما أن امتياز ابراهيم بكونه خليل الله وموسى بكونه كليم الله وبكثرة الآيات والمعجزات وعظمها ووضوحها لا يدل على أنه أفضل من المسيح مثلا بل ان اشتهار الخليل بهذا الاسم لا يدل على أن ليس هناك لله خليلا مثل ابراهيم . أرأيت اذا فاق أحد التلاميذ في علم مّا من العلوم جميع أقرانه فهل يستلزم ذلك أنه اعلمهم في كل شيء وأولهم وأرقاهم ؟ كلا !!

﴿ المسألة الثانية ﴾

« في نقض النصارى ناموس الله »

من العجيب أن النصارى تركوا قول المسيح بعدم نقضه الناموس (متى ٥ : ١٧) واتبعوا أهواءهم وأقوال بولس وأضرابه حتى أبطلوا لأجلها جميع شرائع التوراة

ولم يعملوا بواحدة منها كما أمروا في أسفار موسى فقوامهم مثلا تركوا تعظيم اليوم السابع الذي باركه الله وقدسه (تك ٢: ٣) وأمرهم بحفظه (تث ٥: ١٤ وخر ٣١: ١٥ و٣٥: ٢ و٣) وجعله فرضا أبديا عليهم (خر ٣١: ١٥ - ١٧) وأوجب عليهم أن لا يعملوا أي عمل فيه وأن لا يشعلوا نارا في مساكنهم وأن يقتلوا كل من خالف هذه الاوامر (خر ٣٥: ٢ و٣) فاستبدلوا اليوم الاول (الاحد) باليوم السابع ومع ذلك لم يحفظوه أيضا كما كان يحفظ السبت موسى وعيسى والانبياء

فأي موضع من الاناجيل أبدل المسيح (او تلاميذه) يوم السبت بالاحد وأجاز لهم العمل فيه مخالفة أوامر التوراة؟ ولماذا لم يقم عليه السلام من الموت في اليوم السابع (السبت) حتى يتفق سبت النصارى مع سبت اليهود الذي قدسه الرب قديما ؟ أو لماذا لم يقدس الله يوم الاحد منذ البدء ويجعله هو يوم الراحة للأمم ليكون ذلك إشارة إلى قيامة المسيح المزعومة في ذلك اليوم الذي لم يعرف تعظيمه في الكتب الالهية القديمة بل كان يعظمه بعض الوثنيين الذين خصصوه لعبادة الشمس - أعظم آلهتهم - ولذلك سموه ويسمى عند بعض الامم للآن (يوم الشمس) (Sunday)

فالنصارى تركوا أوامر الله التي في التوراة واتبعوا الوثنيين وعظموا يومهم !!

وكذلك تركوا الختان وهو فرض عليهم في الشريعة الموسوية (لاويين ١٢: ٣) وجعله الله علامة عهد أبدي بينه وبينهم وأوجب قتل كل من نكث هذا العهد ولم يختن في اليوم الثامن من مولده (تك ١٧: ٩ - ١٤) وقد ختن عيسى عليه السلام نفسه (لو ٢: ٢١) ولكن بولس - وهو لم ير المسيح في حياته - قال لهم (غلا ٥: ٢) (ان اختتنتم لا ينفعكم المسيح شيئا) وقال (كو ٢: ١٦) « فلا يحكم عليكم أحد في أكل أو شرب أو من جهة عيد أو هلال أو سبت » فهم لذلك تركوا جميع أحكام الناموس ولم يبالوا بما مع أن المسيح لم يأت لينقضها - كما قال - ولكنهم رجحوا أقوال بولس هذه على أقوال الله ورسله وتمسكوا بتأويلات ضعيفة ركيكة مضحكة ليعتذروا بها عن إبطال تعظيم اليوم السابع والختان في لحم الغرلة وغيرهما من أحكام الله مع أن حكمهما كان عليهم فرضا أبديا كما بينا . فلا أدري كيف اذاً أبطلوه واذا كانوا هم انفسهم لا يعملون بأحكام هذه الكتب فما فائدة ايمانهم بها واذا يريدون أن يعمل المسلمون

بهذه الشرائع التي هجروها وأبطلوها ؟! وما الداعي الى المناقشة بيننا وبينهم في هذه الكتب والحال أنهم قد نقضوها ولم يعبأوا بها ؟

ومن أغرب أمورهم أن كل كلام لم يوافق أهواءهم لجأوا الى تأويله وباب التأويل عندهم واسع جدا يدخل فيه كل مكابرة وتحريف للاصل . ولا أدري أي كلام كان يمكن لموسى أو غيره أن يقوله لهم حتى يوقف سير تأويلاتهم هذه الفاضحة المخزية وحتى يعترفوا بأنهم مكابرون معاندون لله ولشرائعه ؟

فانظر مثلا الى تأويلهم في مسألة حفظ اليوم السابع (السبت) ومسألة الختان الجسداني ترَ العجب العجاب الذي تضحك منه الثكلى فما أعجب عقولهم وما أغرب أفهامهم . والله لولا أننا نراهم بأعيننا ماصدقنا بوجود أمثالهم بين البشر

وقد غر طائفة المبشرين ماوصلت اليه أوربة من العلم والمدنية مع أنها ماوصلت الى ذلك بمثل هذه الافكار القسيسية ولا بعقائدهم الدينية المصادمة للبداهة العقلية، بل وصلت الى ذلك باتباع أحكام العقل والحس والوجود والدرس والبحث وبعد أن نبذت الخزعبلات والجمود وهذا الدين وراء ها ظهريا . والا فقل لي بأبيك في أي شيء يتفق الدين الذي يأمر بالابتعاد عن الدنيا وزخرفها مع تلك المدنية الاوربية المادية ؟ وأي شيء تعمله دول اوربة اليوم وفق تعاليم الدين المسيحي؟ الحق إنه لايوجد بينهم وبين المسيحية علاقة تذكر الا بالاسم فقط كما لايخفى على أهل البحث والنظر . ولا تنس أن أكثر أهل العلم في أوربة ماديون ملحدون فكان الواجب على جماعة المبشرين أن يهدوهم الى دينهم ويحثوا أممهم على العمل به قبل أن يأتوا الى المسلمين . وبعد ذلك يعمل هؤلاء المبشرون انفسهم بناموس موسى ثم يدعون المسلمين للاخذ بهذه الكتب المهجورة من جميع أصناف الناس حتى أتباعها

فان قيل : إذا كان بعض الشرائع حكمها أبديا في شريعة موسى فكيف اذا نسخ في شريعتنا الاسلامية ؟

فالجواب : (١) نحن لانسلم بجميع ألفاظ هذه الكتب اذ يجوز عندنا أن بعضها زيد أو حرف سهوا أو قصدا ـ كما بينا ـ ولايخفى أن اليهود كانوا يظنون أنهم وحدهم شعب الله الخاص وأن دينهم وملكهم باق الى الابد فلا عجب اذا

دخل في كتبهم شيء من هذه الافكار المتعلقة بدوام ملكهم ودينهم ومدينتهم (أورشليم) الى الابد كما قيل عنها في كتاب ارمياء (٣١ : ٣٨ ـ ٤٠) (لا تقلع ولا تهدم الى الابد). وليلاحظ القارئ أن لفظ الابد بالنسبة للاحكام يندر وجوده في سفر التثنية وهو السفر الذي ترجح سلامته من الفساد الكبير كما سبق

(٢) لعل دوام دينهم كان مشروطا باستقامتهم وحفظهم له ولعهد الله فاذا نقضوا عهد الله نقض الله أيضا عهدهم وأبطل دينهم كما فعل بملكهم الذي علق دوامه على صلاحهم وتقواهم ـ كما بيناه سابقا ـ ولذلك قال في ارميا ٣٣ : ٢٠ و٢١ (ان نقضتم عهدي ..... فان عهدي أيضا مع داود عبدي ينقض فلا يكون له ابن ماسكا على كرسيه ومع اللاويين الكهنة خادمي) أي يبطل ملكهم وشريعتهم (راجع ايضا ٢ أي ٧ : ١٩ ـ ٢٢ ولا ٢٦ وتث ٢٨ وغير ذلك)

أما إذا استقاموا وكان الله حقيقة وعدهم ببقاء بعض أحكام شريعتهم إلى الأبد فمن الجائز أن الله تعالى ما كان ليفسخ هذه الاحكام ويبقيها في الشريعة الاسلامية كما هي أو مع بعض تحوير فيها لا يغير جوهرها ويزيد عليها ما شاء وينقص منها ما لم يكن حكمه أبديا

لكن الله تعالى علم أنهم لن يستقيموا ولا بد أن ينقضوا عهده فقضى في علمه الأزلي أن يبعث رسولا من اخوتهم بني اسماعيل بشريعة غير شريعتهم وأخبرهم بذلك وأوجب عليهم اتباعه حينما يبعث (تث ١٨ : ١٥ ـ ٢١) وقد ظهر تمردهم وعصيانهم في زمن موسى نفسه حتى سماهم (شعبا صلب الرقبة) لشدة عنادهم (تث ٩ : ٦) وانذرهم بالابادة إذا عبدوا غير الله وعصوا أوامره (تث ٨ : ١٩ و ٢٠) وقد كان ذلك كله فعصوا الله فأبادهم ونسخ دينهم بدين الاسلام وأعطى أرضهم التي كانوا وعدوا بها إلى الابد (تث ٤ : ٤٠) للمسلمين الذين قال فيهم المسيح لليهود (متى ٢١ : ٤٣) (إن ملكوت الله ينزع منكم ويعطى لأمة تعمل أثماره) ولا يصح أن يراد بذلك أمة الرومان فان الارض المقدسة كانت إذ ذاك خاضعة لهم ولم تكسبهم ليحبوه شيئا جديدا في تلك الارض التي بقيت في أيديهم مؤقتا حتى أخذها الاسلام منهم ولا تزال تابعة له الى اليوم

فكأن الرومانيين أخذوها من اليهود ونزعوها منهم لا لأنفسهم بل ليسلموها للمسلمين (العرب) أصحاب الحق فيها بعد اليهود فان الله تعالى وعد إبراهيم بأن تكون هذه الارض له ولنسله ملكا أبديا (تك ١٧ : ٨) فوهبها أولا لاسحاق (تك ١٧ : ٢١ وخر ٦ : ٤ ومز ١٠٥ : ٩ — ١١) ولما نزعها من يد نسله — لعدم وفائهم بعهد الله — أعطاها لبني اسماعيل (العرب) الذين جعلهم الله أمة كبيرة (تك ١٧ : ٢٠) وصارت يدهم على الكل (تك ١٦ : ١٢) وبذلك أبقى أرض الموعد في نسل إبراهيم إلى الأبد كما وعد تعالى

أما الرومانيون فهم ليسوا من نسله وليسوا أهلها بل كانوا كالمحتلين لها موقتا إلى زمن العرب أربابها بوعد الله فامتلأت بهم الان وستبقى كذلك إلى الابد كما وعد الرحمن (أنظر أيضا دا ٢ : ٤٤ و٧ : ١٨ و ٢٧) وهم قديسو العلي كما سماهم دانيال

(٣) لعل المراد بالابد الابد النسبي كقولك لشخص (افعل ما أمرتك به دائما أبدا) فالمراد أنه يفعله ما دام حيا فاذا مات فلا معنى لامتثال هذا الأمر فكذلك قول الله لهم (افعلوا كذا وكذا إلى الأبد) معناه أن يستمروا على فعله ما داموا أمة حية قوية ذات وجود ممتاز فاذا ضعفت أمتهم وتبددت وماتت فلا يمكنهم أن يمتثلوا هذه الأوامر بعد أن يتلاشى وجودهم المستقل

فاتباع الشريعة الموسوية كان واجبا على اليهود إلى أن تلاشى استقلالهم ومحيت مدينتهم وهيكلهم بعد المسيح وتبددوا في الارض واندمجوا في الامم الاخرى ولم يبق لهم وجود ممتاز حتى صاروا كالشخص الذي مات وتفرقت أجزاؤه ولذلك قال المسيح قبل أن يحصل ذلك إنه ما جاء لينقض شريعتهم بل ليكملها وأنه لا يزول حرف واحد منها حتى يكون أو يكمل الكل (متى ٥ : ١٧ و١٨) أما إذا أكملت هذه الشريعة وتبددت الامة اليهودية وزالت دولتهم ولم يبق من مدينتهم حجر على حجر (مت ٢٤ : ٢) فحينئذ يكون تكليفهم بهذه الشريعة كتكليف الميت بأي عمل بعد موته

فالاسلام لم يأت الا بعد أن أكمل الناموس وبعد أن ماتت الأمة اليهودية موتا تاما حتى لم تتم شريعة القرآن الا بعد أن محي كل أثر من القوة كان لليهود

في بلاد العرب التي تحصن فيها بعضهم بعد تشتتهم فمجيء محمد (ص) بالاسلام كان اذا دليلا على فناء الأمة اليهودية وانمحاء شريعتها وناموسها ولذلك قال يعقوب لبنيه انباءً عما سيحدث في آخر الزمان (تك ٤٩ : ١ و ١٠) (لا يزول قضيب من يهوذا ومشترع من بين رجليه حتى يأتي شيلون (١) وله يكون خضوع شعوب) فاذا جاء (شيلون) وهو الاسلام (أو السلام كما قالوا) زال ملكهم وشرعهم اما المسيح فما جاء ليزيل شريعتهم ولا علماءها

ومما يدلك على ان (الابد) في التشريع هو الابد النسبي قول الناس (فلان حكم عليه بالسجن المؤبد) وبريدون السجن مدة الحياة على أن الابد المطلق لا يمكن أن يكون مرادا في الشريعة الموسوية بأي حال من الاحوال لأنه من المعلوم لجميع الانبياء أن الوجود في هذه الارض ليس مستمرا إلى الابد بل سينقطع بقيام الساعة فلا يمكن أن يكلفوا البشر بشيء إلى الابد المطلق لان يوم القيامة سيزيل كل ذلك . وعليه فالأبد هو قطعا الابد النسبي (٢) ولا فرق بين حمله على يوم القيامة (الساعة العامة) أو على موت الأمة وفنائها وانمحاء كل مشخصاتها ومميزاتها (في الساعة الخاصة) فان من مات فقد قامت قيامته كما ورد في الأثر

هذا هو جوابنا على هذا الاشكال . أما النصارى فلا يمكن أن يجيبوا عن هذه الاحكام المؤبدة في الشريعة الموسوية بمثل هذا الجواب لانهم (أولا) لا يسلمون بتحريف هذه الكتب ولا بدخول بعض الافكار الشائعة بين اليهود فيها كما دخل في العهد الجديد بعض خرافات ذلك العصر المنتشرة بين الناس مثل مسألة

(١) راجع بحث لفظ (شيلون) في فصل البشائر الآتي

(٢) مما يدل على ان المؤبد قد يكون مؤقتا قوله تعالى في القرآن الشريف (وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا حتى تؤمنوا بالله وحده) وعليه فجميع الاحكام المؤبدة في الشريعة الموسوية هي مؤقتة بمجيء محمد صلى الله عليه وسلم كأن الله قال لهم (افعلوا كذا وكذا أبدا حتى يأتيكم رسولي الذي اخبرتكم به فاطيعوه) أعني أن المراد بالابد الدهر الطويل أو الابد النسبي كما في الملل

دخول الشياطين في الانسان (١) وخروجهم منه الى غيره والى الحيوانات الاخرى وتكلمهم فيه وتسببهم في بعض امراضه الجسدية والعقلية (وثانيا) إنهم لا يقولون بجواز نسخ الشرائع الالهية عموما (وثالثا) ان المسيح لم يأت لينقض الناموس خصوصا بل ليكمله فيجب عليهم اذاً اتباع كافة أحكام الشريعة الموسوية وعدم تبديل حرف واحد من حروفها وأن يتركوا آراء بولس وفلسفته العجيبة التي تركوا لاجلها حكم الله!!

أما المسلمون فانهم يقولون بتحريف هذه الكتب وعدم التعويل على كل لفظ من ألفاظها كما بيناه وبنسخ بعض أحكامها . كما قال تعالى (فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون) وقال في حق محمد (ص) (ويضع عنهم اصرهم والاغلال التي كانت عليهم) وقال (لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا) (انما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه) وقال (قل لا أجد فيما أوحي اليّ محرما على طاعم يطعمه ـ ..... الى قوله ـ وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما الا ما حملت ظهورهما (٢) ـ الى قوله ـ ذلك جزيناهم ببغيهم وإنا لصادقون)

---

(١) حاشية : قول القرآن الشريف (لا يقومون الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس) لا يقتضي وجود ذلك بالفعل في الخارج فان من المشبه به ما لا وجود له الا في الذهن والخيال كقوله تعالى (طلعها كانه رؤوس الشياطين) وكقول الشاعر : ـ

أيقتلني والمشرفي مضاجعي ومسنونة زرق كانياب أغوال

فكذلك قول القرآن هذا فان المشبه به فيه هو من متخيلات العرب وسائر الامم ويراد به التشنيع والتقبيح ومثله يوجد في اعظم الكتب العلمية في أية لغة كانت ولا يستفاد منه أن الشيطان له هذا التأثير في الانسان ولذلك قال تعالى (ان عبادي ليس لك عليهم سلطان) ونحوه كثير في القرآن ومن العجيب ان القرآن يذكر معجزات المسيح مرارا وتفصيلا ومع ذلك لم يذكر منها (اخراج الشياطين) وجميع الاناجيل مفعمة بها حتى الابوكريفية وأذهان الامم ممتلئة بها فكيف سلم القرآن من هذه الخرافات الشائعة بين جميع الناس حتى أهل الكتاب لولا أنه وحي الله ؟

(٢) حاشية : يفهم من هذه الاية الشريفة حل بعض أجزاء من الشحم لليهود . ولكن الذي يفهم من سفر اللاويين (٣ : ١٦ و ١٧ و ٧ : ٢٣ ـ ٢٥) هو تحريم كل جزء من أجزاء الشحم فلا بد أن يكون هذا من تحريف الكهنة ليأخذوا كل الشحم من الناس بدعوى ايقاده على المذبح (كما في لا ٣ : ١١) ثم يبقوا منه شيئا لانفسهم . أو يكون هذا الحكم نسخ فيما بعد في زمن موسى أو غيره من أنبياء بني اسرائيل (أنظر تحميا ٨ : ١٠) كما حرموا استرقاق العبراني =

فالمسلمون انما تركوا شريعة الله الموسوية لأوامر صريحة في كتابهم الالهي

= مطلقا بعد موسى بسنين عديدة وكان مباحا لهم في زمنه (تث ١٥ : ١٢ — ١٨) أو أنه حصل خطأ في هذه الشريعة أثناء نقلهم لها في تلك العصور المظلمة الطويلة أو أثناء ارتدادهم عنها لعبادة الاصنام مرات عديدة في سنين كثيرة ولو أراد انبياؤهم اصلاح ذلك حينما يرجعون اليها لعارضهم الكهنة وغيرهم لمصلحتهم الشخصية واسفكوا دماءهم فانهم كثيرا ما قتلوا الانبياء والمرسلين (أنظر متى ٢٣ : ٣٠ — ٣٧) كلما أرادوا اصلاح احوالهم وأمورهم

ولا يستبعد القارىء وقوع مثل هذا الخطأ في هذه الكتب مع كثرة الانبياء فيهم فقد وقع فيها غيره سهواً أو قصداً مما بيناه ومما لم نبينه كمسألة اجترار الارنب الجبلي (لا ١١ : ٦) ومسألة برص الثياب وبرص البيوت (لا ١٣ و ١٤) ولعل هذه المسألة الاخيرة هي أيضاً من وضع الكهنة لمصلحة لهم فيها ولم يتمكن الانبياء من ازالتها كما لم يمكنهم منعهم عن عصيان الرحمن وعبادة الاوثان

والذي يدلك على أن بعض الشحم أحل لهم كما قال القرآن وأن النص على تحريم الكل اما أنه محرف أو منسوخ قول سفر التثنية (وهو أصح هذه الاسفار على مذهبنا) في نعم الله على بني اسرائيل بعد خروجهم من أرض مصر ما يأتي تث ٣٢ : ١٠ (وجده « أي اسرائيل والمراد بنيه » في أرض قفر وفي خلاء مستوحش خرب .... — ١٢ هكذا الرب وحده اقتاده وليس معه إله أجنبي ١٣ أركبه على مرتفعات الأرض فأكل ثمار الصحراء وأرضعه عسلا من حجر وزيتاً من صوان الصخر ١٤ وزبدة بقر ولبن غنم مع شحم خراف وكباش ...... وتيوس مع دسم لب الحنطة ودم العنب شربته خمراً) فاذا كان كل الشحم محرماً عليهم كما في سفر اللاويين فكيف اذاً يمن الله عليهم في سفر التثنية وهو آخر الاسفار الموسوية وأصحها باطعامهم وهم في البرية شحم الخراف والكباش والتيوس ؟ ألا يدل ذلك على صحة قول القرآن الشريف في هذه المسألة وخطأ كتبهم الاخرى فيها ؟ والا فكيف يمكنهم التوفيق بينها لازالة هذا التناقض ؟

والعبارة الاخيرة من سفر التثنية وكذا غيرها (تث ١٨ : ٤) تدل على حل الخمر لهم وان كان شربها حرم على الكهنة فقط عند دخولهم خيمة الاجتماع (لا ١٠ : ٨ — ١١) وكذلك المسيحية فيها ما يدل على حلها للناس (راجع يو ٢ : ١ — ١١ ولو ٢٢ : ١٤ — ٢٣) ولذلك فانا نفتخر بأن الاسلام هو الدين الوحيد الذي حرم الخمر تحريماً باتاً وكذلك سائر الخبائث وأحل الطيبات جميعاً ولولا النصارى لما انتشر شربها بين بعض المسلمين فانهم هم الذين حملوها الينا مع ما حملوه من موبقات مدنيتهم الاخرى كالانتحار والقمار والربا والرقص والخلاعة والفسق والفجور

أما لفظ السكر (بفتح السين) الوارد في القرآن في سورة النحل (١٦ : ٦٧) فالاصح أنه سكر الفاكهة (بضم السين) المسمى عند الافرنج (Laevulose) أو هو لغة في السكر (بضم السين) مطلقاً فان كلا اللفظين معرب من كلمة (شكر) الفارسية بابدال الشين سيناً كما هو المعتاد في تعريب بعض اللغات الاخرى الشرقية كموشي العبرية وموسى العربية وغير ذلك كثير وقيل السكر الخل والاصح أن السكر (بفتح السين) هنا هو السكر فقوله تعالى بعده (ورزقاً حسناً) يدل على أن السكر =

وأما النصارى فتركوها لغير أقوال المسيح نفسه القائل إنه لم يأت لينقضها بل ليكملها .

ومما يزيدك يقينا بأن قول المسلمين بالتحريف في نفس مسألة الابد(١) هنا وفي غيرها ليس أمرا نظريا ظنيا بل هو حقيقة واقعية — ما جاء في رسالة بطرس الاولى قال فيها ١ : ٢٣ (مولودين ثانية لا من زرع يفنى بل مما لا يفنى بكلمة الله الحية الباقية « الى الابد ») فقوله « الى الابد » لا يوجد باعترافهم في أقدم النسخ وأصحها التي عثروا عليها . راجع الترجمة العربية المطبوعة سنة ١٩٠٩ ميلادية في المطبعة الامريكانية في بيروت تجد أن هذه العبارة موضوعة فيها بين قوسين للدلالة على ما قلنا كما ذكروا في مقدمة هذه النسخة . وهذه إحدى التحريفات التي يزعمون أنها لا تتعلق بمسائل هامة فما أكبرهم من مكابرين ! !

وكيف بعد ذلك يمكننا أن نثق بأي شيء من نقلهم أو من كتبهم اذا كان التحريف فيها من العادات اللازمة لقدمائهم ؟ وكيف نأمن عليها من تلاعبهم وإفسادهم لها في غير هذه المواضع التي ظهرت لنا ؟ وهل لا يدل انتشار مثل هذه التحريفات في نسخها على صحة قولنا ان هذه الكتب في الازمنة القديمة كان يسهل على أصحابها تبديلها وتحريفها ؟

ومن العجيب أنك ترى النصارى بعد ذلك يدعون المسلمين لترك دينهم واتباع آرائهم وأهوائهم المخالفة لما جاء به موسى وعيسى وسائر أنبياء بني اسرائيل !! فأي محاربة لله ولرسله ولكتبه أكبر من ذلك ؟ وهل بعد ذلك يعقل أنهم به مؤمنون ؟ وقد بينا لك فيما سبق أن عقائدهم لم يأت بها النبيون وأنهم فيها لاحكام العقل هادمون وقد أريناك هنا أنهم لشريعة الله محاربون ولكتبه محرفون ! ! فبأي شيء من دين الله بعد ذلك يتمسكون ؟ واليه يدعون ؟ وبأي حديث بعد الله وآياته يؤمنون ؟

(يتلى)

= ليس ورقا محضا لان الاصل في العطف أن يفيد المغايرة وهذه الآية المشار اليها هنا نزلت قبل التحريم البات فان الخمر حرمت تدريجيا لحكمة لا تخفى على المفكر ، والتحريم التدريجي شيء والنسخ شيء آخر فلا منافاة بين ذلك وبين مذهبنا في (الناسخ والمنسوخ)

(١) حاشية : جاء في سفر الخروج ٢١ : ٦ (ويثقب سيده أذنه بالمثقب . فيخدمه الى الابد) والمراد أن العبد يخدم سيده الى الممات . وهو عين ما قلناه آنفا في معنى الابد وبهذا المعنى أيضا ورد في سفر صموئيل الاول ١ : ٢٢